ASJP Algerian Scientific Journal Platform
مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/111
ISSN: 2437-0584/ EISSN: 2437-0584
المجلد العاشر، العدد الثاني، نوفمبر، 2025 ص - ص: 51-78

الرجل اللغز: الشيخ الحاج أحمد التّنوري الزياني الودغيري الإدريسي الأنْزَجْمِيرِي التَوَاتِي

The Mysterious Man: Cheikh Hadj Ahmed al-Tannouri al-Zayani al-Ouadghiri al-Idrissi al- Anzedjmiri al-Taouati

هشام عبد الوافي(*)
Universitat Internacional de Catalunya, (Spain), hicham@uic.es

تاريخ الاستلام: 2023/12/15 **تاريخ القبول:** 2025/09/18 **تاريخ النشر:** 2025/11/12

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على إحدى أهم حقب تاريخ توات –أدرار حاليّاً– التي لم يؤرخ لها سابقاً، وذلك بالاعتماد على مصادر موثوقة للتعريف بالشيخ سيدي الحاج أحمد التنوري، أحد رجال النصف الثاني من القرن الحادي عشر، والأول من القرن الثاني عشر الهجريين، الذي هاجر من واحة فجيج بالمغرب إلى إقليم توات بالجزائر عبر الساقية الحمراء في ظروف غامضة مجهولة، فأعاد عمارة بلد أَنْزَجْمِير، أحد أعرق القصور المهجورة بسبب الحروب بتوات آنذاك؛ فأسس قصر أَنْزَجْمِير الفوقاني وتزوج بالشيخة عائشة، التي تصدرت المشهد وتولت هي وزوجها زمام الأمور في حال حياتهما، ثم آلت السلطة والمشيخة إلى أبنائهما: الشيخ بلة، الشيخ عبد الوافي، والشيخ محمد.

الكلمات الدالة سيدي الحاج أحمد التّنوري؛ فجيج؛ توات؛ قصر أنزجمير؛ المشيخة.

Abstract

The purpose of this study is to shed light on an important era in the history of Touat (now in Adrar province), which has not been documented before. I referred to various reliable sources to introduce Cheikh Sidi Hadj Ahmed al-Tennouri, a man who lived during the second half of the eleventh Hijrī century and the first half of the twelfth Hijrī century. He emigrated from Figuig in Morocco to Touat in Algeria through al-Saquia al-Hamra under unclear circumstances and rebuilt the town of Inzedjmir, which had become one of the ancient abandoned towns due to conflicts in Touat at that time. He established Qasr-Inzedjmir al-Fougani and married Cheikha Aicha, who was a prominent figure in the community. Together, they took control of various matters during their lifetimes, and later, the reins of authority and sheikhdom passed to their sons: Cheikh Bella, Cheikh Abdelouafi, and Cheikh Mohammed.

Keywords Sidi Hadj Ahmed Tenouri; Figuig; Touat; Qasr Inzedjmir; Sheikhdom.

* **المؤلف المرسل.**

1. مقدمة

توافد على منطقة توات –ولاية أدرار حاليّاً بجنوب الجزائر– قبائل مختلفة على مرّ العصور، فاستقر بأرضها الأمازيغ الجيتول بفروعهم القديمة، والمور السود، فاليهود والعرب.[1] وشهدت نشاطاً وحركة كبيرة؛ إذ كانت منطقة عبور لقوافل تجارية ومسافرين من وإلى وِجْهات مختلفة.[2] وبالرغم من ذلك لا أعلم في توات قاطبة، كتاباً يُعنى بعلم الأنساب، أو يهتم بتحديد تواريخ دخول القبائل التي تنحدر من أصول معينة لأرض توات أو تواريخ لاستيطانها لقصر معين، بحيث ينص على أن قبيلة كذا التي ينحدر أصلها من كذا دخلت أرض توات بتاريخ كذا وكذا واستوطنت القصر كذا. وعليه فإنه لا يكاد يُعرف لدخول الداخل إلى أرض توات أو خروج الخارج منها تاريخ دقيق، ففي تلك الحقبة كان هم الناس وشغلهم الشاغل هو اكتساب لقمة عيش تسد الجوع، والحصول على سقف آمن يحميهم من قر الشتاء وقيظ الصيف، وبذلك ضاع الكثير من التاريخ وأهمل بسبب عدم التدوين؛ وما زاد الطين بلة هو عدم اهتمام الخلف بتاريخ من مضى من السلف، باستثناء حالات قليلة إضافة للروايات التي تناقلتها الأجيال كحكايات وطرائف كانت تسرد في المجالس على سبيل الاستئناس ليس إلا.

وعلى عكس ما مضى من العصور والأزمنة يمكن القول بأن الوضع إلى حد ما يختلف في وقتنا الراهن، وذلك لما نلاحظه من صحوة والتفاتة إلى التاريخ والتراث ومساعي التوثيق والجهود المبذولة في سبيل ذلك. فنجد أن غالب أهل توات اليوم في بحث مستمر عن تاريخ قصر من قصورها أو جذور عائلة من عائلاتها، فمن كان له إرث أو وثائق محفوظة أو تاريخ غير بعيد اعتمد عليه وتيسر له إيجاد طرف الخيط وتتبع ماضي أسلافه والوصول إلى نتيجة، وفيما سوى ذلك يكون البحث غير مجد، يدور صاحبه في حلقة مفرغة، ويؤسفني القول بأن الحال الأخيرة هي حال الكثير من العائلات.

وهذا ما دفعنا للكتابة عن تاريخ حقبة مهمة من تاريخ توات عاش وقائعها المرحوم بكرم الله الشيخ سيدي الحاج أحمد التنوري بقصر أنزجمير بعدما هاجر إليها من فجيج، والتي لم يسبق التأريخ لها[3] لأن مجيئه كان قبل مرحلة التدوين بقصر أنزجمير، وذلك بالاعتماد على مصادر مختلفة موثوقة[4] بغية التعريف بالشيخ سيدي الحاج أحمد التنوري، وبالاستناد إلى ما تناقلته الأجيال من

روايات صحيحة ووقائع سمعناها من أفواه رجال ثقات؛ فكان أول ما قمت به هو ضبط فروع وعائلات ذرية الشيخ سيدي الحاج أحمد التنوري، واستغرقني الأمر شهوراً حتى استطعت بتوفيق الله توثيق شجرة النسب لذريته التي تفرعت وانتشرت في ربوع أرض توات وخارجها انطلاقاً من قصر أَنْزَجْمِيرَ الفوقاني، بدائرة زاوية كُنْتَةَ، ولاية أدرار، دولة الجزائر.[5] ثم بعد ذلك عملت على ربطها بالأصل، فبعد بحث مضن توصلت إلى أن ''التّنوري'' اسم علم تنفرد به أسرة عريقة تنتمي إلى الفرقة الزيانية الودغيرية الإدريسية بقصر الوداغير بفجيج بالمملكة المغربية. وبتوفيق من الله تعالى وتوجيه وتوثيق من الأستاذ المهندس العربي هلالي الودغيري الفجيجي،[6] مشكوراً جزيل الشكر، انتهى البحث بنتيجة واضحة، مبنية على إثباتات وبراهين كما سيأتي معنا إن شاء الله قريباً بشكل مختصر.

2. نبذة عن قصر أَنْزَجْمِيرَ بتوات

يعد قصر أَنْزَجْمِيرَ، الذي يبعد عن مقر دائرة زاوية كُنْتَةَ بنحو 18 كيلومتر، وعن مقر ولاية أدرار بنحو 92 كيلومتر جنوباً، أحد أعرق القصور بإقليم توات الذي يضم حاليّاً ولاية تيميمون المعروفة ''بقورارة'' وتمتد من قصر تَبلكُوزَة ببلدية تِينَزْكُوك إلى قصر عَرْيَان الراس ببلدية تْسَابِيت، ولاية أدرار المعروفة ''بتوات الوسطى'' وتمتد من قصر عريان الراس ببلدية تسابيت إلى قصر اَنْتَهَنْت ببلدية رقان، وولاية عين صالح المعروفة ''بتديكلت'' وتمتد من قصر تِيمقْطَن ببلدية أَوْلَفْ إلى قصر فقارة الزْوى ببلدية عين صالح، ويختزل إقليم توات بمناطقه الثلاث (أدرار، قورارة، تديكلت) تاريخاً غامضاً مليئاً بالمفاجآت في قصوره العتيقة وعصورها الغابرة.

ولفظ القصر (أو لَقْصَر) هنا نسبة إلى نمط العمارة القصورية، وهو أحد أهم أشكال التراث العمراني المنتشر والمألوف في بلاد المغرب العربي ككل لا الجزائر فحسب، كمنطقة فجيج بجنوب المملكة المغربية وبين منطقتي مطماطة وتطاوين في الجنوب الغربي لجمهورية تونس. وعادة ما كان يسكن القصر مجموعة أسر تنتمي لنفس العرش أو القبيلة بداخل بيوت متراصّة متشابهة تتكون من طابقين إلى ثلاثة في العادة،[7] ويضم مختلف المرافق التي تحتاجها ساكنة القصر في حياتهم اليومية كالمسجد والمدرسة القرآنية (الكُتَّاب) والدكاكين. وكانت القصور تبنى وفق تصاميم ومعايير معمارية محكمة بمواد أولية تتمثل في الطين وجذوع النخيل والحجارة والجير، وهي أشبه

بالحصون؛ لأنها محاطة بأسوار عالية مدعمة بأبراج للمراقبة كثكنات عسكرية في أركان وزوايا القصر، ولها أبواب كبيرة مصنوعة من خشب النخيل تصل القصر بمحيطه الخارجي أو الواحة، وشيدت بهذا النمط لردع العدو وحماية أهل القصر في زمن الحروب والاعتداءات التي كانت تشنها القبائل فيما بينها بالمنطقة. وبالرغم من أن نمط العمارة القصورية اندثر ولم يعد هو النمط الاستيطاني السائد بمنطقة توات، إلا أن تسمية القصر ما تزال تطلق اليوم على كل القرى بتوات بشكل عام.

لم يكن المرحوم الشيخ سيدي الحاج أحمد التنوري أول المعمّرين لقصر أنزجمير الذي حمي الوطيس بأرضه، فلقصر أنزجمير تاريخ ضارب في القدم. لقد عاشت به قبائل على فترات زمنية مختلفة خلال قرون مضت شهدت حروباً وفتناً، أشهرها فتنة يحمد وسفيان، فكثر في ذلك الزمان الهرج والغارات، ونشبت بين عروش القبائل نار حروب دامية بسبب التعصب للقبيلة والجهل والبعد عن الدين، أهرقت جراء ذلك الكثير من الدماء، ودفن العديد من الأموات ومعهم دفن ذكرهم وتاريخهم وأسرارهم في الحفر تحت التراب وأنقاض المباني، ترويها الأطلال، وما نطقت، بلسان أعجمي وكلمات مبهمة، فذهبوا وظل من بعدهم الأثر شاهداً ودليلاً على تلك الحقبة الغامضة من تاريخ منطقة توات.

استوطن قصر أنزجمير السباعيون الأدارسة[8] ردحاً طويلاً من الزمن بعد البرامكة، وأول داخل منهم لمنطقة توات هو سيدي عبد الله السباعي الإدريسي، الجد الجامع لكل فروع الشرفاء السباعيين الأدارسة بتوات، الذي جاء خلال القرن السابع الهجري عبر الساقية الحمراء واستقر بقصر أنزجمير.[9] مات مقتولا في ظروف غامضة، وضريحه موجود الآن بالمسجد العتيق بالقصر الفوقاني بأنزجمير، وبجانبه دفن ابنه سيدي علي رحمهما الله؛ ومن الآثار التي تدل على الفترة التي عاشها الشرفاء آل السباع الأدارسة بقصر أنزجمير، مسجد سيدي أحمد بن سيدي عبد الله بقصبة المرابطين، الذي رممه واعتنى به الأنصار بعد خروجهم من القصر الفوقاني وتأسيسهم للقصيبة بقصر أنزجمير التحتاني، وبداخله توجد الآن خزانة مخطوطات الشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد الحبيب،[10] وهو المسجد الذي تصلى به الجمعة وفيه يُقرأ ويُختم كتاب صحيح البخاري وكتاب الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض.

ولم تهدأ الأوضاع بقصر أنزجمير إلا بعدما وضع سيدي الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت.909هـ)[11] حجره الأساس خلال القرن التاسع الهجري، وذلك بسبب الحروب والفتن التي شهدتها جل قصور توات في ذلك الزمن الغابر. وللسباعيين الأدارسة تاريخ ضارب في قصر أنزجمير، فكان سيدي عبد المؤمن السباعي آخر من غادره، انتقل إلى قصر تيدماين في حدود سنة 1050هـ-1640م واشترى قطعة أرض من أولاد جبارة[12] واستقر هناك ومنه تفرعت ذرية طيبة. والكثير ممن سكنوا القصر كذلك انتشروا في أرض الله؛ لأسباب مجهولة، كالذين خلوا من قبلهم من قبائل البرامكة وغيرهم ممن سبق من الأولين، وبات قصر أنزجمير مهجوراً مجدداً إلى أن نزل بأرضه الشيخ سيدي الحاج أحمد التنوري في القرن الثاني عشر الهجري، فأعاد عمارة القصر واستقر به وذريته، ثم نزل الشيخ عبد الرحمن الزجلاوي الأنصاري بين ظهرانيهم بالقصر الفوقاني، فأمسى قصر أنزجمير بلداً آمناً، استنار بالعلم وانكب الناس على حضور مجالسه وأخمدت نيران الفتن والجهل، بفضل هؤلاء السادات الرجال، طيب الله ثراهم وأكرم مثواهم برحمته الواسعة بجاه نبيه طه المصطفى الكريم وجعل الجنة مستقرهم ومأواهم، آمين، والله أعلم.

3. اسمه ونسبه

نسبه الكامل هو: الشيخ الحاج أحمد، مؤسس قصر أنزجمير الفوقاني بتوات –بولاية أدرار الجزائرية– في النصف الأول من القرن 12هـ ودفين مقبرته، ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن التّنوري، جد التّنوريين وهو أحد الإخوة البدور الخمسة الشرفاء الجلة الذين هم غالب فروع الفرقة الزيانية الودغيرية الشريفة، ابن الشيخ أحمد بن محمد ابن الشيخ زيان، جد الشرفاء الزيانيين، ابن عبد الرحمان بن محمد بن أحمد بن محمد بن زيان بن عبد الرحمان بن زيان بن محرز بن محمد بن عبد الله الشريف ابن عبد الحميد بن أمامة بن علي بن مناصر ابن الولي الصالح والقطب الواضح الشيخ سيدي عيسى، دفين قرية بني ونيف، ابن القطب الأشهر العارف بالله الأكبر الشيخ الأمير عبد الرحمن الودغيري، الجامع لكل فروع الشرفاء الوداغير الأدارسة بفجيج وخارجها، الذي هاجر بأولاده من فاس إلى فجيج سنة 317هـ - 929م،[13] ابن علي المكنى بيعلى، دفين الطالعة الكبرى بفاس ومشهور الضريح والمسجد والدرب هناك، ابن إسحاق المكنى بعبد العلى، دفين مصمودة قبلة جامع الأندلس بفاس، ابن أحمد، دفين جامع جرواوة بفاس، ابن الأمير محمد،

دفين ضريح والده، ابن الخليفة المولى إدريس الأزهر، باني مدينة فاس الملقب بالدر النفيس وبتاج المغرب دفين فاس المحروسة، ابن مولانا الخليفة إدريس الأكبر، الملقب بالفاتح والمبايع له بالخلافة بالمغرب في العام 172هـ دفين زرهون، ابن مولانا عبد الله الكامل، إمام المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام، والمسمى بالمحض والخالص؛ لكونه أول مولود علوي فاطمي من كلا طرفيه، فهو حسني من أم حسينية، وهي فاطمة بنت الحسين، ابن الإمام القدوة الحسن المثنى ابن مولانا الإمام الحسن المجتبى، حليم آل البيت وريحانة الرسول وسيد شباب أهل الجنة، نجل أمير المؤمنين الأسد الغالب سيدنا الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، من مولاتنا البتول وبضعة الرسول الطاهرة سيدة نساء أهل الجنة فاطمة الزهراء بنت مولانا وحبيبنا وقائدنا، رسول رب العالمين، وإمام المرسلين وقائد الغر المحجلين، نبي الله ورحمته المهداة سيدنا محمد بن عبد الله الهاشمي صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً دائماً وعلى آله الطيبين الطاهرين الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

أما اسم التَّنْوُرِي فنسبة إلى جده الشيخ التنوري الجد الجامع للتنوريين، والزياني نسبة إلى الشيخ زيان جد الفرقة الزيانية، والودغيري نسبة إلى جده الشيخ الأمير عبد الرحمن الودغيري، الجد الجامع لكل فروع الشرفاء الوداغير بفجيج وخارجها، والإدريسي نسبة إلى الجد الأعلى لجميع الشرفاء الأدارسة، الخليفة إدريس الأكبر بن عبد الله المحض، والأنْزَجْمِيرِي التَّوَاتِي نسبة إلى قصر أَنْزَجْمِير وإقليم تَوَات، فهو الشيخ سيدي الحاج أحمد التنوري الزياني الودغيري الإدريسي منشأ وأصلا، الأنزجميري داراً ووفاة، التَّوَاتي إقليماً، الجزائري وطناً رحمه الله.

4. أصل التسمية

ورد اسم ''التَّنْوُرِي'' في وثيقة بيوع قديمة كانت بحوزة المرحوم الحاج سالم بن عبد الوهاب بَاالشيخ سنة 1997م أو العقد الأول أو بداية الثاني من سنة 2000م، وتحقق من صحتها ثقات من أعيان المنطقة وعلمائها الأفذاذ أمثال الشيخ المربي سيدي الحسان الشيخ الأنصاري حفظه الله. ورد في الوثيقة الاسم الكامل بـ: الحاج أحمد بن محمد بن عبد الله التَّنوري، فحكموا بغرابة الاسم وأنه أجنبي عن المنطقة،[14] فلم يُعرف به إلا المرحوم الشيخ سيدي الحاج أحمد التنوري في ذلك الوقت الذي عاشه بقصر أنزجمير، وإلى الآن تشتهر وتنفرد به ذريته بتوات عموماً.

والتّنوري اسم فريد تميزت به الأسرة التّنورية الودغيرية بفجيج قاطبة دون سواها، بالإضافة إلى أسماء أخرى مثل المزوار، وبوصوار، وكلها تحمل من الغرابة والغموض ما يثير التساؤل ويدفع إلى البحث عن المصدر الحقيقي لهذه الأسماء دون معناها اللغوي المعروف في المعاجم. ولا يسعنا هاهنا التعليق عن أصل هذه الأسماء بغية الاختصار، فلقد تطرق إلى هذه المسألة غيرنا فأفاد وأجاد مشكوراً.[15] وهذا ما يبين لنا سبب تمسك المرحوم الشيخ الحاج أحمد باسم ''التّنوري'' فمتى أطلق هذا الاسم انصرف إلى الشيخ التّنوري لا محالة، وهو الجد الجامع لفرع التّنوريين الزيانيين الودغيريين الفجيجيين. واذا ما تتبعنا بعض الوثائق الفجيجيّة[16] نجد أن غالب أحفاد ورجالات الأسرة التّنورية بمنطقة فجيج كانوا يكتفون بإضافة ''بن التّنوري'' مباشرة بعد الاسم الأول –بالرغم من أن الذي يربط بينهم وبين الشيخ التّنوري قد يتجاوز اثنين أو ثلاثة آباء– دون ذكر أو مراعاة ترتيب اسم الأب المباشر ثم الذي يليه مسلسلاً، وهذا التسامح أمر شائع ومتعارف عليه في الأسرة التّنورية لسببين:

أ) لأن أفراد الأسرة التّنورية كانوا يعيشون جماعة، ومنازلهم متقاربة، يعرف أحدهم الآخر، ومعلوم نسب كل تنوري واسم أبيه وجده، ولا يحتاج لإثبات ذلك البتة.

ب) لاشتهار الأسرة التّنورية بالاسم وانفرادها به دون سواها، فلا يحمله أو يكنى به إلا من كان ينتسب إلى ذرية الشيخ التّنوري، الجد الجامع للتّنوريين بفجيج كما سبق ووضحنا آنفاً.

وعليه فإن المرحوم الشيخ سيدي الحاج أحمد التنوري كان يكتفي هو الآخر بذكر اسمه الأول واسم جده ''الشيخ التّنوري'' في الوثائق الفجيجية؛ لأن اسم أبيه وجده معروف عند أهل فجيج، وهو عندهم ثابت النسب مشهور. والاسم ذاته ''الحاج أحمد بن التّنوري'' اشتهر به عندما هاجر من فجيج إلى توات واستقر بقصر أنزجمير. ولم يرفع نسبه إلا في الوثيقة التواتية السالفة الذكر؛ ليوثق بذلك سلسلة نسبه الصحيحة الواضحة بعمودها المتصل إلى الشيخ التّنوري أباً عن جد، وهو ما كان يجهله أهل ذلك العصر بمنطقة توات حتماً،[17] لأن المرحوم الشيخ سيدي الحاج أحمد التنوري كان غريباً عن أرضها، تاركاً الأثر وطرف الخيط للأجيال التي تأتي

من بعده، ومن هنا كان مربط الفرس ومنطلق رحلة البحث لربط فرع ذرية التّنوريين بتوات بجذور عائلتهم التّنورية الزيانية الودغيرية بفجيج.

5. مولده ونشأته

ينحدر أصل المرحوم الشيخ سيدي الحاج أحمد التنوري من قصر الوداغير، بمنطقة فجيج شرق المملكة المغربية. وهو من أحفاد الشيخ التّنوري بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد بن الشيخ زيان. وبناء على الحبس الجماعي لأبناء المرحوم الشيخ أحمد بن الشيخ محمد بن الشيخ زيان جد التّنوريين المؤرخ في شعبان 985هـ – 1577م،[18] فإن الشيخ التّنوري لم يكن قد خلف بعد. وأول ما يفهم من ذلك أنه كان آخر العنقود أو لربما كان شاباً يافعاً، تزوج حديثاً أو بلغ سن الزواج وقصر عنه في ذلك الوقت، مما يعني أنه كان من أهل النصف الثاني من القرن العاشر والأول من الحادي عشر الهجريين.

لم أوفق للعثور على تاريخ دقيق لولادة المرحوم الشيخ سيدي الحاج أحمد التنوري. وبحسب المصادر والمخطوطات التي وقفت عندها[19] علمت أنه كان لا يزال مقيماً بفجيج خلال العشرة الأولى من القرن الثاني عشر الهجري، ثم اختفى ذكره في الوثائق الفجيجية مباشرة بعد هذه الفترة، أي: بعد العقد الأول من القرن الثاني عشر الهجري، ولم يعد له أثر بفجيج مذ ذاك الحين. فبذلك يكون المرحوم الشيخ سيدي الحاج أحمد التنوري قد عاش خلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري والنصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري على أقصى تقدير. ولم أقف على ما يثبت زواجه بقصر الوداغير أو عدمه، فالله أعلم إن كان قد ترك ذرية من بعده في فجيج أم لا...؟

6. هجرته من فجيج إلى توات

لا يمكن ضبط تاريخ مجيء الشيخ سيدي الحاج أحمد التنوري إلى منطقة توات، لكن يحتمل أنه دخل أرضها ونزل بقصر أنزجمير خلال العشرة الثانية من القرن الثاني عشر الهجري على صهوة فرسه عبر الساقية الحمراء، مغيراً المسار المباشر والطريق الرابط بين فجيج وتوات في ظروف ودواع مجهولة غامضة. كان المرحوم الشيخ سيدي الحاج أحمد التنوري "أحد فضلاء قصر الوداغير

ووجهائه، والشهود المرضيين في أحوالهم، وهو من أصحاب الشيخ المشهور بتآليفه الصوفية أحمد بن أبي بكر السكوني."[20]

وسيدي أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر السكوني[21] كان عالماً زاهداً متورعاً، وهو من أبرز الشيوخ الذين تصدروا الزاوية السكونية بفجيج، وشهدت انتعاشاً وازدهاراً في عهده. تأسست الزاوية في منتصف القرن التاسع الهجري على يد القاضي سيدي عبد الحق السكوني، وحازت شهرة كمثل الشمس؛ لجهودها في سبيل نشر العلم وتكوين الطلبة، وكذا علم التربية والتصوف، فتخرج منها علماء أجلاء كبار، قبل أن تتحول إلى زاوية صوفية بنزول أحمد بن أبي المحلى بالواحة واستحواذ مذهبه على منهج سيدي محمد بن أبي بكر السكوني وفكره. تعرضت المدرسة السكونية لحملتين شرستين في عهد دولة السلطان مولاي إسماعيل بن الشريف (ت. 1139هـ-1727م)، الأولى سنة 1104هـ-1692م والأخرى سنة 1118هـ-1707م،[22] فكانت الضربة القاضية التي محت الزاوية السكونية ومن ينتمي إليها عن الوجود بصفة نهائية.

هذا وشهدت عدة زوايا صوفية بفجيج أيضاً، كالزاوية الدلائية وزاوية تاسافت والزاوية الشرقاوية، وقائع ومحن في عهد الأسرة العلوية شبيهة بتلك التي مرت بها الزاوية السكونية.[23] ومن الواضح أن هذه الوقائع والأيام الصعاب في تلك الفترات كانت السبب الرئيس الذي دفع المرحوم الشيخ سيدي الحاج أحمد التنوري لمغادرة واحة فجيج، وقد كانت في ذلك الوقت حاضرة، ودواعي الأمن وسُبل العيش الرغيد فيها متوفرة مزدهرة، والحجة في ذلك أن تاريخ اختفاء ذكره من الوثائق الفجيجية تزامن مع ما جرى للزاوية السكونية من أحداث وحملات وضربات عنيفة، وبناء على ما سبق يتبين لنا بشكل جلي أنه ما كان ليهجر قصر الوداغير وأرض أجداده إلا لسبب ما، إما اضطراراً أو فراراً ولم يكن حتماً اختياراً، فوضعيته ووقائع رحيله من فجيج بلا رجعة توحي بشيء، ويلفها الكثير من الغموض، ولا بد أن في الأمر إنّ، والله أعلم.

ولا شك أن الشيخ سيدي الحاج أحمد اصطحب معه المال ساعتها –والذي كان رائجاً في فجيج هي العملة الذهبية، وهي أخف ما يمكن للمهاجر حمله مع الزاد– فالأسرة التّنورية بفجيج كانت من الأسر الثرية في تلك الحقبة الزمنية. وبالرغم أنهم لم يكونوا أمراء، إلا أن الشرفاء الوداغير عموماً والفرقة الزيانية خصوصاً كانوا من كبار المشايخ، من أصحاب المال، ولهم سمعة

ونفوذ ليس على مستوى قصر الوداغير فحسب، بل على مستوى فجيج وقصورها. فلم يكن ءال التّنوري يتأخرون عن أداء مناسك فريضة الحج، وكانوا ممن يسارعون إلى فعل الخيرات وتصدر أنواع المشاركات والخدمات الاجتماعية: كتحبيس الماء والتمر والطعام وتجعل كلها وقفاً في سبيل الله لشهر رمضان الكريم وإحياء ليلة القدر، وسرد صحيح البخاري، وغير ذلك من أعمال البر كما هو مألوف عند أهل فجيج؛[24] ولأنهم كانوا ممن يسارعون في الخيرات تصدر أعلام هذه الأسرة التّنورية ورجالاتها أدواراً مهمة في توجيه مختلف مناحي الحياة وتنظيم العلاقات الاجتماعية في قصر الوداغير على وجه الخصوص وفجيج عموماً، بفضل ما كان يملكه التّنوريون من حظوظ الماء ووفرة البساتين العامرة بالأشجار ويانع الثمار، وفي ذلك دليل على تماسك الأوضاع الاجتماعية ليس للأسرة التّنورية الزيانية والشرفاء الودغيريين فقط، بل لأهالي فجيج أيضاً في ذلك العصر.[25]

نزل الشيخ سيدي الحاج أحمد التنوري بقصر أنزجمير بتوات، فتزوج من الشيخة عائشة البرمكية[26] وأحيا معالمه. ولا شك أنه وجد البلدة خاوية على عروشها وقتها فأسس بها القصر الفوقاني؛ ليكون بذلك النواة الأولى بقصر أنزجمير منذ عصره إلى زمننا الراهن. كان رحمه الله عالماً وعُرف بالزهد والتصوف وكانت تعتريه أحوال، ولم يكن ممن يحبون الظهور البتة، ولعل أسباباً ما دفعته للتستر وإخفاء أمره إبان تلك الفترة؛[27] لذا تولت المرحومة بكرم الله زوجه الشيخة عائشة زمام الحكم آنذاك وتصدرت المشهد في حياة الشيخ سيدي الحاج أحمد التنوري. والمشهور عندنا أن سلطتها امتدت من وادي اغرماملال إلى قصر أوغزير، وعرشها تربع في قلب قصر أنزجمير، شأنها شأن أختها الشيخة عَلّو التي كانت تحكم بقصر تَاخْفِيفْت. فكان للشيخة عائشة جاه عظيم وسلطة ونفوذ عال، وكانت هي وزوجها ممن أنعم الله عليهم بوفرة المال وسعة الرزق وممن اشتهر بالصلاح ومكارم الأخلاق والسيرة الطيبة العطرة في تلك الفترة كما يرويه الخَلَفُ عن السَّلَفِ بتواتر إلى جيلنا الحالي.

7. أبناؤه وذريته بتوات

توفي المرحوم الشيخ سيدي الحاج أحمد التنوري بالقصر الفوقاني بأنزجمير، وضريحه معلوم بمقبرته الجديدة[28]، تاركاً بتوات ذرية طيبة[29]، والعقب منه في ثلاثة أبناء من أصلابهم تفرعت العديد من العائلات ولله الحمد، وهم على الترتيب:

1.7 سيدي الشيخ بلة: الابن البكر وأكثرهم خِلفة وهو الذي تولى السلطة بعد عجز والديه أو وفاتهما. وألقاب ذريته الآن: ''الشيخ بلة،'' الذين ترعرعوا وسكنوا بالقصر الفوقاني بأنزجمير. ومنهم أيضاً ''المكي'' و''لَكْبير'' من أبناء التوهامي بن الشيخ بلة مؤسس قصبة القائد (قصبة القايد)[30] التي كانت مركز السلطة والقيادة بتوات قبل أن تنتقل إلى قصر تيطاوين لخراص آخر العهد.

2.7 سيدي الشيخ عبد الوافي: الابن الأوسط، عاش وابنه حَسَان وحفيده مهدي بين جدران قصر أنزجمير الفوقاني. والعقب من مهدي في ولدين: محمد وجلول، إليهما تنسب ذرية الشيخ عبد الوافي بن الشيخ سيدي الحاج أحمد التنوري اليوم بقصر المحفوظ، وفيهم الوفرة والعدد، وقصر أُوغْزِير بتوات، واللقب المدني لذريته هو ''عبد الوافي،''[31] غير متمسكين بكلمة الشيخ، ويشتهرون ''بقبيلة بني مهدي'' (بلمهدي).

3.7 سيدي الشيخ محمد: وهو أصغرهم، درس عند الشيخ سيدي امحمد الونقالي (ت.1175هـ)[32] رفقة الشيخ سيدي عبد الرحمن بن محمد العالم الزجلاوي (ت.1209هـ)،[33] فجمع بذلك بين مشيخة الزعامة ومشيخة العلم، وتشكل ذريته أكثر بقليل من ثلثي عائلات القصر الفوقاني بأنزجمير ولقبهم العائلي: ''الشيخي'' و''الشيخ.''[34]

8. خاتمة

بختام هذا البحث، يمكن القول بأن هذه الدراسة قد سعت إلى تحقيق غايتها الأساسية في تسليط الضوء على حقبة تاريخية مغفلة ومنسية من تاريخ إقليم توات (أدرار حالياً)، من خلال التعريف بالشيخ سيدي الحاج أحمد التنوري كشخصية محورية أعادت تشكيل المشهد الاجتماعي والعمراني في منطقة أنزجمير خلال النصف الثاني من القرن الحادي عشر وطيلة القرن الثاني عشر الهجري.

واعتمدت في منهجها على تحليل ونقد مصادر تاريخية موثوقة، ساعدت في تتبع مسيرة الشيخ سيدي الحاج أحمد التنوري منذ هجرته الغامضة من قصر الوداغير بواحة فجيج في المملكة المغربية، مروراً بالساقية الحمراء، وصولاً إلى استقراره في قصر انزجمير بإقليم توات في الجزائر. وقد تمكن البحث من توثيق دور الشيخ سيدي الحاج أحمد التنوري المحوري في إعادة إعمار وإحياء قصر أنزجمير، الذي كان من بين القصور العريقة التي تعرضت للإهمال بسبب الحروب والاضطرابات، مؤسساً بذلك قصر أنزجمير الفوقاني كمركز جديد للحياة والاستقرار.

هذا وكشفت الدراسة عن نموذج فريد من القيادة المشتركة، حيث برز دور الزوجة، الشيخة عائشة، ليس كشخصية تكميلية فحسب، بل كشريكة فاعلة في إدارة شؤون المجتمع بتصدرها مشيخة الزعامة في حياة زوجها الشيخ سيدي الحاج أحمد التنوري وبعد وفاته. وقد أسفر هذا التحالف عن إرساء أسس حكم أسري روحي استمر عبر أبنائهما السادة: الشيخ بلة، والشيخ عبد الوافي، والشيخ محمد، الذين ورثوا المشيخة والسلطة، حاملين معها إرثاً دينياً واجتماعياً استمر في التأثير على مجرى الأحداث في منطقة توات سنوات عديدة. فبعدما رزق أبناء الشيخ سيدي الحاج أحمد التنوري البنين والحفدة، ضاق بهم القصر الفوقاني بأنزجمير. فأسس الأنصار القصبية، المعروفة بقصبة المرابطين وقصبة العلماء، والسي التوهامي بن الشيخ بلة أسس القصبة المعروفة بقصبة القائد (قصبة القايد). فكانت الزعامة والقيادة لأبناء المرحوم الشيخ سيدي الحاج أحمد التنوري، بينما اشتغل أبناء المرحوم الشيخ سيدي عبد الرحمن الزجلاوي بالعلوم الشرعية والقضاء.

أما أول من رحل من حفدة المرحوم الشيخ سيدي الحاج أحمد التنوري خارج حدود وأسوار قصر أنزجمير الفوقاني، فهو السي محمد بن مهدي بن حسان بن الشيخ عبد الوافي؛ انتقل إلى قصر المحفوظ واشترى قصبة العكارمة، ثم ما لبث أن استدعى أخاه السي جلول بن مهدي الذي نزل أول الأمر بقصر أوغزير، فعاشا وأبناءهما تحت سقف واحد. ثم كان السي التوهامي بن محمد بن مهدي أول مؤسس لقصر المحفوظ الفوقاني أو ما يعرف بـ "لحدب،" وله الفضل في رسم حدود منازله وشوارعه الواسعة إلى الآن. فما من أحد كان ينوي الخروج فيما مضى من المحفوظ التحتاني أو "لَقْصَرْ" إلا ويهرع إليه ليضع له الحجر الأساس لمنزله، فكان يخطو بقدميه ويحدد الأركان الأربعة ويضع لبِنات الأساس لباحة كل منزل ثم يأمر صاحبه بحفر بئر الماء والشروع

في البناء. كان التوهامي منصفاً وحكماً عدلاً أعطى لكل واحد من العائلات قطعة أرض تؤويه وذريته وتضمن له العيش في بحبوحة، والكل يشهد له بذلك إلى الآن. واليوم ولله الحمد تنتشر ذرية المرحوم الشيخ سيدي الحاج أحمد التنوري من أبنائه الشيوخ الثلاثة في منطقة توات بقصر أنزجمير وقصر المحفوظ وقصر أوغزير وولاية أدرار، ومن ذريته من انتقل خارج منطقة توات، فعلى سبيل المثال لا الحصر: ولاية تيارت، ولاية وهران، وولاية تلمسان وبعضهم هاجر إلى خارج دولة الجزائر. فاللهم ارحم السلف وبارك إلهي في الخَلَف.

على الرغم من أن هذه الدراسة تعتبر إضافة نوعية في الكتابة التاريخية المحلية، من خلال تقديمها قراءة جديدة تعيد الاعتبار لدور الشخصيات المؤسسة والمؤثرة، وتسد ثغرة في التأريخ للمرحلة الانتقالية بين القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين في جنوب الجزائر، فإنه تجدر الإشارة إلى أن أحد أبرز التحديات التي واجهتها تمثّل في الندرة الملحوظة للمراجع والمصادر التاريخية المباشرة التي تتناول سيرة الشيخ سيدي الحاج أحمد التنوري وإنجازاته العلمية والروحية بتفصيل وافٍ. ولم تكن هذه الندرة محض صدفة، بل هي انعكاس طبيعي لسيرة الرجل نفسه الذي اتسم بالتواضع والتقشف والتخفي عن الأنظار، حرصا على ألا تطاله الأضواء، تماشياً مع منهج العديد من أولياء الله الصالحين في تلك الحقبة، الذين آثروا العمل في صمت بعيداً عن ضجيج الشهرة وتسجيل المناقب.

إن غموض شخصية الشيخ سيدي الحاج أحمد التنوري يعد جزءًا جوهريًا من ماهيتها، وتكمن أهميته في كونه يبرز نمطاً من الزهد والعلم الخفي الذي كان سائداً في تلك الفترة، مما استوجب اعتماد أدوات منهجية متنوعة ومبتكرة لدراسة مثل هذه الشخصيات التي صنعت التاريخ بعيداً عن ضوء مسرحه الرئيسي. لقد فرض هذا التحدي المنهجي اعتماد مقاربة تركيبية تقوم على القراءة النقدية بين السطور في المصادر المتاحة، والتي تميزت بتناثرها واختصارها وعدم تخصصها في سيرته. واستدعت هذه المقاربة تجميع شذرات معلوماتية من بطون كتب المناقب والتراجم، ومخطوطات السير المحلية، والروايات الشفهية الموثوقة، بالإضافة إلى الاستعانة ببعض الوثائق الأرشيفية المتاحة وذات الصلة. كما تم تحليل السياق التاريخي العام للمنطقة لفهم طبيعة الأدوار التي اضطلع بها الشيخ واستنباط أبعادها.

وعليه، فإن هذه الدراسة ـــعلى الرغم من مساهمتها في سد ثغرة بحثية وإثراء الكتابة التاريخية المحليةـــ لا تدعي بأي وجه من الأوجه الإحاطة الكاملة بجميع جوانب شخصية الشيخ سيدي الحاج أحمد التنوري، بل هي محاولة لتقديم إطار عام مبني على الأدلة المتوفرة، وتمهيد الطريق أمام باحثين آخرين للتعمق أكثر في دراسة هذه الشخصية والمرحلة. كما تفتح الباب أمام دراسات مستقبلية للتركيز على الجوانب الاجتماعية والاقتصادية لتلك الحقبة، والشبكات العلمية والصوفية التي ربطت بين فجيج وتوات ومناطق الصحراء الكبرى، مما سيسهم في تكوين رؤية أشمل لتاريخ هذه المناطق التاريخية العريقة وتراثها الفكري والروحي.

9. قائمة المراجع

- إبراهيم برهان الدين بن فرحون المالكي، شبكة القناص نظم العلامة الفقيه سيدي عبد الرحمن بن محمد العالم بن أحمد الأنصاري الزجلاوي منشأ الزجميري داراً ووفاة التواتي إقليماً الجزائري وطناً رحمه الله على درة الغواص في محاضرة الخواص، حققه وعلق عليه وأخرجه محمد سالم بن عبد القادر بن عبد الكريم التواتي الجزائري، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، لبنان، 2020.
- أحمد السكوني، تقوية إيمان المحبين مناقب الشيخ سيدي عبد القادر بن محمد بن سليمان بن أبي سماحة، تحقيق عبد الله طواهرية، دار الأديب للنشر والتوزيع، وهران، 1991.
- أحمد جعفري، الحركة الأدبية في أقاليم توات من القرن السابع حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجريين، منشورات الحضارة، الجزائر، ط1، ج1، 2009.
- أحمد مزيان، فجيج مساهمة في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال ق19، مطبعة فجر السعادة، الدار البيضاء، 1988.
- الإمام المقري محمد بن أحمد ين جزي الكلبي الغرناطي (ت.741هـ)، مخطوط الأنوار وكنز الأسرار في نسب آل النبي المختار، اعتنى بتحقيقه وعلق عليه السيد عبد الرحمن بن ماجد آل قراجا الرفاعي الزرعيني، بدون دار نشر، 1439هـ.
- بوفلجة حرمة، المدرسة الكنتية الرقادية بزاوية كنتة ودورها التربوي، مجلة رفوف، العدد 04، المجلد 07، 2019، صفحات 90-116.
- زهرة مسعودي والمبخوث بودواية، التواصل العلمي بين منطقة توات والسودان الغربي نهاية القرن 18م وبداية القرن 19م، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 03، المجلد 04، صفحات 605-627.
- السباعي بن بحوص العُمَري العيساوي السباعي الإدريسي، السباعيون عبر العصور في الماضي والحاضر والمنظور، بدون دار نشر، أدرار، 2020.
- الصديق ثياقة، نمط العمارة القصورية في ظل مراحل وجود الاستيطان البشري في إقليم توات، مجلة الحقيقة، العدد 03، المجلد 12، 2013، صفحات 374-392.

- عبد القادر بن جعفري، أمي توات من عبق تراثها: قراءة انثروبولوجية، دار الدواية للنشر والتوزيع والطبع، أدرار، ط2، ج1، 2023.
- عبد القادر قصباوي، دراسة وصفية لخزانة الشيخ: سيدي عبد الرحمن بن أحمد الزجلاوي – قراءة في مؤلفه شبكة القناص، العدد 03، مجلة رفوف، أدرار، 2013 صفحات 33-67.
- عبد القادر قصباوي، مخطوطات خزانة الشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد الحبيب بولاية أدرار –قراءة وصفية، مجلة رفوف، العدد 02، المجلد 09، 2021، صفحات 12-33.
- عبد الله حمادي الإدريسي، الفوات من تاريخ توات وصحاري الجهات، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع والطباعة، الجزائر، ط1، ج1، 2018.
- العربي هلالي الودغيري، فجيج تاريخ وثائق ومعالم المسجد العتيق والصومعة الحجرية، المطابع المغربية والدولية، طنجة، 1988.
- الفقيه النسّابة الشريف محمد بن محمد ابن الحسن المخلوفي الودغيري، الدر النثير فيمن أشتهر وصح نسبه من شرفاء الوداغير بفجيج، فاس ومكناس، مراجعة وتحقيق الأستاذ المهندس العربي هلالي الودغيري، مطبعة فضالة، المغرب، ط1، 2003.
- مبارك جعفري، المخطوطات الكنتية في غرب إفريقيا الرحلة والأثر؛ مخطوط شفاء الأسقام العارضة في الظاهر والباطن من الأجسام للشيخ أحمد بن عمر الرقادي الكنتي (ت1096هـ/1685م) أنموذجاً، مجلة رفوف، العدد 02، المجلد 05، 2017، صفحات 07-32.
- محفوظ رموم، توات الجغرافيا والمصطلح من خلال المونوغرافيا المحلية والأجنبية، مجلة الحوار الفكري، العدد 12، المجلد 11، صفحات 82-116.
- محمد الصالح حوتية، توات الأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي) دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية، دار الكتاب العربي، الجزائر، ج1، 2007.

- محمد بوزيان بنعلي، من رموز الحركة الوطنية: الحاج بوعلام التّنوري الفجيجي، خادم القرآن والوطن، مطبعة الجسور، وجدة، 2020.
- محمد بوزيان بنعلي، واحة فجيج تاريخ وأعلام، منشورات المجلس المحلي الإقليمي فجيج، مطبعة الجسور، وجدة، 2015.
- محمد، باي بلعالم، الرحلة العلية إلى منطقة توات، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ج1، 2005.
- محمد، بوزيان بنعلي، فجيج في عهد السعديين السياسة والثقافة والمجتمع، مطبعة الجسور، وجدة، 2005.
- مصطفى لالي (09 ماي 2019)، زوايا فجيج وأنشطتها العلمية، تم الاطلاع عليه في 11 ديسمبر 2023، موقع مجلة رباط الكتب: https://ribatalkoutoub.com/?p=2992

10. ملاحق

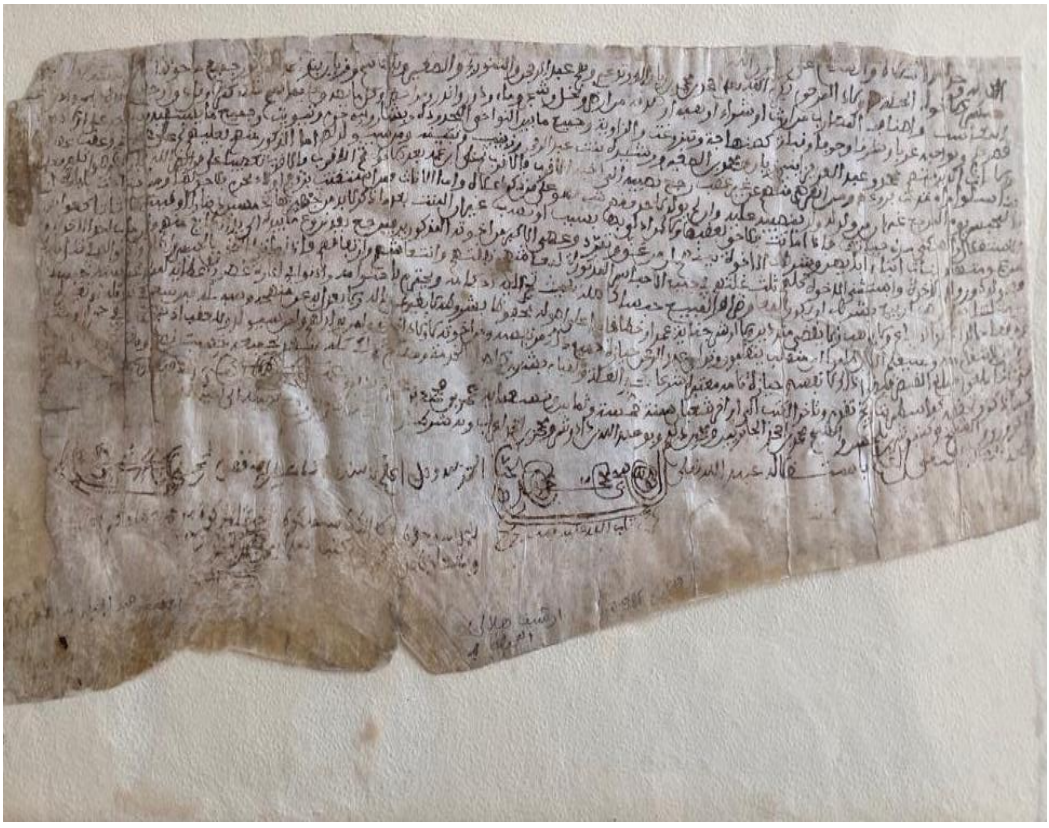

وثيقة (1): الحبس الجماعي لأبناء المرحوم الشيخ أحمد بن الشيخ محمد بن الشيخ زيان، وهم خمسة إخوة: الشيخ عبد الرحمان، الشيخ التّنوري، الشيخ الصغير، الشيخ بلقاسم، والشيخ زيّان، مخطوط على رق. الحبس من توثيق الإمام العالم أبو القاسم بن محمد بن العلامة الولي الصالح عبد الجبار بن أحمد البرزوزي الودغيري بتاريخ شعبان 985هـ - 1577م؛ انظر أصل الحبس عند الأستاذ المهندس العربي هلالي الودغيري، محفظة 71 ملف 173.

11. هوامش

[1] محفوظ، رموم: توات الجغرافيا والمصطلح من خلال المونوغرافيا المحلية والأجنبية، مجلة الحوار الفكري، العدد 12، المجلد 11، صفحات 89-94.

[2] زهرة، مسعودي والمبخوث بودواية: التواصل العلمي بين منطقة توات والسودان الغربي نهاية القرن 18م وبداية القرن 19م، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، العدد 03، المجلد 04، صفحات 613-616.

[3] ولا نتجاهل البتة اهتمام الباحثين بتاريخ منطقة توات وقصورها أيامنا هذه، فحاضرة توات تستحق فعلا أن يُكتب عن تاريخ أعلامها، تراثها، وعن عاداتها وتقاليدها، الخ. ولقد بادر بعضهم وألّف في ذلك، فنذكر على سبيل المثال لا الحصر، عبد القادر، بن جعفري: أمي توات، من عبق تراثها: قراءة انثربولوجية، دار الدواية للنشر والتوزيع والطبع، أدرار، ط2، ج1، 2023. فله فضل السبق مشكوراً، إذ ليس بالأمر الهين أن يجمع الواحد منا معلومات حول تاريخ حافل لمنطقة ما ويضعها في كتاب، غير أن التاريخ المبني على الروايات والكلام المتواتر من جيل إلى آخر يستدعي الوقوف عند تفاصيل تفاصيله بقصد التحقيق والتدقيق والتنميق قبل النقل والنشر والتوثيق. والروايات، في غالب الأحيان، صحيحة ما لم يوجد دليل يثبت عكس ذلك، فمن الروايات ما لا يمكن إثباته أو نفيه، ومنها ما يندرج تحت الأساطير التي تسرد كالأحاجي أو يُتنزه عنها جملة وتفصيلا. لذا أود هنا أن أعقب على بعض الروايات التي نقلها صاحب الكتاب بخصوص قصبة العكارمة بقصر المحفوظ، يقول في ذلك على لسان الراوي: ''يشاع أن زوجته الحاجة عيشة [الشيخة عائشة] أم شرفاء آل عكرمي كانة امرأة مباركة فهي من أعطت الأمر ببناء قصبة العكارمة'' ص 102، ويقصد بذلك أن مولاي عكرمي تزوج من الشيخة عائشة، وهو أمر غير صحيح. فالشيخة عائشة زوجة الشيخ سيدي الحاج أحمد التنوري، ومولاي عكرمي صهرهما؛ تزوج ابنتهما البكر، والأخيرة هي جدة آل عكرمة في المحفوظ، أما والدتها، الشيخة عائشة، فجدة آل التنوري الذي تفرعوا من القصر الفوقاني بأنزجمير. وعليه فالتي أسست قصبة العكارمة هي بنتها، نقلت مواد البناء من القصر الفوقاني بأنزجمير، النواة الأولى التي أسسها الشيخ الحاج أحمد التنوري والشيخة عيشة، واستعانت بعبيد من قصر انزجمير الفوقاني لا من ''قوافل السودان'' ص 103، لتشييد القصبة وخدمتها وزوجها عكرمي في تلكم الحقبة. وقصبة العكارمة هي ثاني قصبة بعد قصبة أولاد جبارة لا ''أولاد شبارة'' ص 102، وقصبة أولاد أزيزاوي بنيت بعدهما. وجدير بالذكر أيضاً أن مولاي حمادي بن الشريف ومولاي عكرمي ليسا من أبناء العمومة، ولم يأتيا إلى قصر المحفوظ وقصر تيدماين معاً، فمولاي حمادي بن الشريف دخل توات قبل تأسيس قصبة العكارمة بقصر المحفوظ التي شيدت خلال العقد الخامس من القرن الثاني عشر الهجري. تزوج إحدى بنات الشيخ سيدي الحاج أحمد التنوري واستقر بقصر تيدماين أين كان الشيخ سيدي يوسف، لكنه لم يمكث بقصر تيدماين زمناً طويلاً إذ اغتيل في ظروف غامضة فمات مقتولاً ودفن بمقبرة قصر أنزجمير، وقبرهم معلوم بجوار الشيخ سيدي الحاج أحمد التنوري، رحم الله الجميع.

[4] اعتمدنا في بحثنا هذا على وثائق مؤرخة بفجيج وأخرى بتوات:

- أما الوثائق الفجيجية: وثيقة (1): الحبس الجماعي لأبناء المرحوم الشيخ أحمد بن الشيخ محمد بن الشيخ زيان، وهم خمسة إخوة: الشيخ عبد الرحمان، الشيخ التّنوري، الشيخ الصغير، الشيخ بلقاسم، والشيخ زيّان، مخطوط على رق، مؤرخ في شعبان 985هـ – 1577م، وثيقة (2) مؤرخة سنة 1102هـ، وثيقة (3) بتاريخ 1106هـ، وثيقة (4) بتاريخ 1108هـ: كلها تثبت حضور المرحوم الشيخ سيدي الحاج أحمد التّنوري بفجيج خلال العشرة الأولى من القرن الثاني عشر الهجري، وثيقة (5) بتاريخ 1269هـ، وثيقة (6) بتاريخ 1174هـ، انظر أصول هذه الوثائق عند الأستاذ المهندس العربي هلالي الودغيري، محفظة 71 ملف 173. وثيقة (7) رسم معارضة بتاريخ 1193هـ، انظره عند الأستاذ المؤرخ محمد، بوزيان بنعلي: من رموز الحركة الوطنية لحاج بوعلام التّنوري الفجيجي، خادم القرآن والوطن، مطبعة الجسور، وجدة، 2020، ص 29.
- وثائق تَوَاتِية: وثيقة بيوع (1) ترفع نسب الشيخ سيدي الحاج أحمد التّنوري إلى أبوين: جاء اسمه فيها بـ: الشيخ الحاج أحمد بن محمد بن عبد الله التّنوري، كانت بحوزة المرحوم السيد الحاج سالم بن عبد الوهاب بَاالشيخ سنة 1997م أو خلال العقد الأول أو بداية الثاني من سنة 2000م. وثيقة (2) عمود نسب آل باالشيخ بخط المرحوم الطالب السي الحاج أحمد الشيخ بن عبد الرحمن الأنصاري، غير مؤرخة. انظر أصلها عند باالشيخ عبد الوافي بن الحاج عبد الكريم بقصر أنزجمير.

[5] وأعانني على إنجاز هذا العمل الشاق أبناء عمومتنا السيد الشيخي الحاج الجيلالي، والشيخ سيدي الحاج محمد المكي والسيد عبد الوافي أحمد بن الطيب. جمعنا خلال هذه المرحلة كل ما له صلة بتاريخ تلك الحقبة التي عاش فيها المرحوم الشيخ سيدي الحاج أحمد التنوري وزوجه الشيخة عائشة وأبناءهما الشيوخ الثلاثة: الشيخ بلة والشيخ عبد الوافي والشيخ محمد، وذرياتهم، بقصر أنزجمير، بتوات.

[6] فبعد رؤى منامية سارة واضحة فيها إشارة للاستمرار، عادت بسفينة البحث إلى جادة الطريق وهبت على شراعها رياح المدد واليقين والتوفيق، شحذت الهمة وجددت النية وعقدت العزم أن أدمن قرع الأبواب متوكلا على الله متجرداً بالكلية من رؤية الحول والقوة إلا لرب العزة خالق البرية. فلم ألبث أن جمعتني الأقدار بالأستاذ المهندس العربي هلالي الودغيري، المؤرخ والباحث في تراث وتاريخ الجهة الجنوبية الشرقية للمملكة المغربية، المراجع والمحقق لمخطوط ''الدر النثير في من اشتهر وصح نسبه من شرفاء الوداغير بفجيج، فاس ومكناس،'' والرئيس الشرفي ''لمؤسسة سيدي عبد الرحمان الودغيري'' ورئيس ''جمعية فجيج للتراث وثقافة الواحات،'' حيث أفادني بكل التفاصيل المتعلقة بالشرفاء الوداغير الأدارسة، وحدثني عن تاريخهم وفروعهم الشريفة وعن الصلة التي تربط ءال التّنوري بهم. هذا وبعث لي جزاه الله خيراً نسخة من وثيقة حبس أبناء المرحوم الشيخ أحمد بن الشيخ محمد بن الشيخ زيان، وهم خمسة إخوة: الشيخ عبد الرحمان، الشيخ التّنوري، الشيخ الصغير، الشيخ بلقاسم، والشيخ زيّان، مخطوط على رق يعتني به ويحفظه في خزانته العامرة، ووثائق ذُكر فيها اسم ''الحاج أحمد بن التّنوري'' بتواريخ مختلفة

بفجيج، ووثائق أخرى مهمة جمعها في أرشيفه تخص آل التّنوري وفروع الفرقة الزيانية الودغيرية، وكلها كانت سبباً في إيجاد الحلقة الضائعة التي تربط الأصل بالفرع، انظر أصول هذه الوثائق في أرشيف الأستاذ المهندس العربي هلالي محفظة 71 ملف 173.

[7] الصديق، ثيافة: نمط العمارة القصورية في ظل مراحل وجود الاستيطان البشري في إقليم توات، مجلة الحقيقة، العدد 03، المجلد 12، 2013، ص 375.

[8] ولقد ألف أحد أحفاد الأسرة السباعية الإدريسية كتاباً جمع فيه عدداً من فروع العائلات السباعية الإدريسية التي انتشرت عبر قصور توات، ينظر السباعي، بن بحوص العُمَري العيساوي السباعي الإدريسي: السباعيون عبر العصور في الماضي والحاضر والمنظور، بدون دار نشر، أدرار، 2020؛ و لا يسعني التعليق هاهنا على كل ما جاء فيه، لكني أود أن أعقب عن مسألة واحدة، وهي حين قال: ''أما القصبة التي كان يسكنها السيد عبد الله [السباعي الإدريسي]هدمت عن آخرها حتى عهد السيد عبد الرحمان [الزجلاوي] الأنصاري هو الذي أحيا معالمها، وذلك خلال القرن الحادي عشر ليس بالضبط بل بالتقدير'' ص 69، وهذا تصريح مجانب للصواب ومعلومات خاطئة. فمجيء الشيخ سيدي عبد الرحمان الزجلاوي كان سنة 1169هـ ونزل بالقصر الفوقاني لأنزجير الذي أسسه الشيخ سيدي الحاج أحمد التنوري خلال أو بعد العقد الثاني من القرن الثاني عشر الهجري.

[9] الإمام المقري محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي (ت.741هـ): مخطوط الأنوار وكنز الأسرار في نسب آل النبي المختار، اعتنى بتحقيقه وعلق عليه السيد عبد الرحمن بن ماجد آل قراجا الرفاعي الزرعيني، 1439هـ، ص 118.

[10] عبد القادر، قصباوي: مخطوطات خزانة الشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن أمحمد الحبيب بولاية أدرار –قراءة وصفية–، مجلة رفوف، العدد 02، المجلد 09، 2021، ص 14.

[11] الشيخ الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من أبرز الشخصيات خلال القرن العاشر الهجري، وذلك لما عرف عنه من ثورة فكرية ونشره لدين الإسلام على امتداد طول الساحل الإفريقي، وحتى أدغال إفريقيا مروراً بمنطقة توات، موطن جهاده التاريخي ضد اليهود بقصر تمنطيط ومذهبه المقتضي هدم كنيسهم. عارضه يومها قاضي بلاد توات عبد الله بن أبي بكر العصنوني (ت.927هـ) في مذهبه بخصوص النازلة اليهودية المذكورة عن اجتهاد وتحرٍّ للحق والصواب، لا عن هوى وتلاعب بالشرع، وأيدت طائفة من علماء تلمسان وفاس مذهب العصنوني بأنه لا يجوز هدم كنيس اليهود بتوات وبغيرها من بلاد الصحراء، وأنهم ليسوا بناقضي الذمّة كما رآه المغيلي، في حين عضّدت طائفة أخرى من فقهاء تلمسان وفاس وفجيج مذهب المغيلي كذلك، ومن جملتهم العلامة الرحالة المغربي إبراهيم بن عبد الجبار الودغيري الفجيجي(ت: 954هـ)، الذي كان مؤيداً للمغيلي وأفتى بوجوب هدم كنيس يهود توات، وله قصيدة ميمية يهجو فيها تساهل أهالي توات وعلمائها بشأن نازلة اليهود، وكل مجتهد مصيب حكماً أو أجراً وفي

كل خير، ينظر عبد الله، حمادي الإدريسي: الفوات من تاريخ توات وصحاري الجهات، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع والطباعة، الجزائر، ط1، ج1، 2018.

وخلال صولات الشيخ المغيلي وجولاته لنشر العلم اجتمع في بلاد التكرور بالشيخ سيدي عْمَر الشيخ بن الشيخ أحمد البكاي (بودمعة) بن سيدي محمد الكنتي، وهو أصل التسمية الكنتية نسبة إلى جد أمه "كنت" إلى آخر السلسلة الطيبة التي تتصل بسيدي الفاتح عقبة بن نافع الفهري، فأخذ عنه الشيخ سيدي عْمر الطريقة القادرية وبرغبة من الأخير التحمت المدرستان المغيلية والكُنتية. ينظر مبارك، جعفري: المخطوطات الكنتية في غرب إفريقيا الرحلة والأثر؛ مخطوط شفاء الأسقام العارضة في الظاهر والباطن من الأجسام للشيخ أحمد بن عمر الرقادي الكنتي (ت1096هـ/1685م) أنموذجاً، مجلة رفوف، العدد 02، المجلد 05، 2017، صفحات 08-11. فنشرا العلم في أرجاء المعمورة إلى أن استقرا بواد بوعلي بتوات، فاستقبلهما البرامكة وكان الشيخ المغيلي يعلم الناس بزاويته العامرة التي أسسها والشيخ سيدي عْمَر يعينه على ذلك. وإلى ذرية الشيخ سيدي عْمَر يعود فضل ظهور المدرسة الكنتية الرقادية المشهورة اليوم بدائرة زاوية كنتة بتوات، التي أسسها الشيخ سيد أحمد الرقادي الكنتي –لكرامة حصلت له أثناء نومه– ابن سيدي محمد الرقاد بن الشيخ سيدي عمر في حدود سنة 1022هـ وقيل: سنة 1059هـ، على وجه التقريب لا التأكيد. وزوج الشيخ سيد أحمد الرقادي في حال حياته إحدى بناته لمولاي امحمد بن سي حمو بلحاج الذي نزل بمدرسته وصاهره واختلط نسله بآل الرقاقدة الكنتيين، فكان لذريته الشريفة مساهمة في المدرسة الكنتية، وقاسمهم الكنتيون المدرسة والمسكن والبساتين. وإن من جملة ما أوصى الشيخ سيد أحمد الرقادي به بنيه، الحرص على العلم والتربية والتدريس والاستقامة والدعوى إلى الله، والإحسان لآل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عموماً والشرفاء الذين بين ظهرانيهم بقصر زاوية كنتة السالفي الذكر. والمدرسة الكنتية اليوم تُعد منبعاً للطريقة القادرية الكنتية بالجزائر وامتداداتها الجوارية، يحمل مشعلها الخليفة العام الشيخ سيدي الحاج محمد مصطفى كنتاوي، ورثها عن أسلافه المشايخ الرقاقدة الكنتيين الكرام بسندهم المتصل عن الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي. وللاطلاع بشكل مستفيض عن تاريخ الكنتاويين الرقاقدة ومدرستهم العامرة بزاوية كنتة، بولاية أدرار بالجزائر، ينظر بوفلجة، حرمة: المدرسة الكنتية الرقادية بزاوية كنتة ودورها التربوي، مجلة رفوف، العدد 04، المجلد 07، 2019، صفحات 90-116؛ محمد الصالح، حوتية: توات الأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة (الثامن عشر والتاسع عشر ميلادي) دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية، دار الكتاب العربي، الجزائر ج1، 2007، صفحات 242-245.

ولقد أخبرني الأستاذ المهندس مولاي العربي هلالي الودغيري أن أحد رجالاتها، الرقاقدة الأبرزين، حل بفجيج حوالي النصف الثاني من القرن العاشر الهجري بقصر الشرفاء الوداغير، وانضم إلى فرقة أولاد زيان منهم، وخلف ذرية برزت في ميدان العلم والتصوف والقضاء، ولاتزال البقية الباقية من أحفاده بفجيج إلى يومنا هذا من ذريته الطيبة. ولقد أنجز الباحثان الأستاذ المهندس العربي هلالي الودغيري ومحمد بوزيان بنعلي دراسة مستفيضة حول أعلام هذه العائلة

الكنتية الرقادية الكريمة بفجيج، غير أن الدراسة لم تنشر بعد (مكالمة شخصية عبر وسائط التواصل الاجتماعي يوم 27 نوفمبر 2023 على الساعة 14:07).

[12] وهو ما أخبرني به السيد عادل عوماري السباعي الإدريسي، واستناداً إلى الأرسام والوثائق التي بحوزته، فإن الشرفاء السباعيين الأدارسة مكثوا مدة 194 سنة بقصر أنزجمير قبل انتقالهم إلى قصر تيدماين (مراسلة شخصية عبر وسائط التواصل الاجتماعي يوم 10 ديسمبر 2023 على الساعة 17:10).

[13] الفقيه النسّابة الشريف محمد بن محمد بن الحسن المخلوفي الودغيري: الدر النثير في من اشتهر وصح نسبه من شرفاء الوداغير بفجيج، فاس ومكناس، مراجعة وتحقيق الأستاذ المهندس العربي هلالي الودغيري، مطبعة فضالة، المغرب، ط1، 2003، ص 147، 159.

[14] قص عليّ ذلك السيد الشيخي الحاج الجيلالي، الذي كان حاضراً بنفسه لمجريات الواقعة بضحى يوم خميس بحضور الشيخ سيدي الحاج الحسان الأنصاري في منزل أخيه (بالدهليز) بقصبة العلماء (قصبة المرابطين) الذي اطلع على ما جاء في الوثيقة وقرأه على مسامع الحاضرين (محادثة شخصية عبر وسائط التواصل الاجتماعي بتاريخ 17 أكتوبر 2023 على الساعة 21:18). وهو ما وثقه أيضا المحقق إبراهيم، برهان الدين بن فرحون المالكي: شبكة القناص نظم العلامة الفقيه سيدي عبد الرحمن بن محمد العالم بن أحمد الأنصاري الزجلاوي منشأ الزجميري داراً ووفاةً التواتي إقليماً الجزائري وطناً رحمه الله على درة الغواص في محاضرة الخواص، حققه وعلق عليه وأخرجه محمد سالم بن عبد القادر بن عبد الكريم التواتي الجزائري، منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلمية، لبنان، 2020، ص 31.

[15] ينظر محمد، بوزيان بنعلي: من رموز الحركة الوطنية الحاج بوعلام التّنوري الفجيجي، مرجع سابق، صفحات 15-17.

[16] وثيقة مؤرخة سنة 1174هـ، ووثيقة أخرى بتاريخ 1269هـ، ورسم مؤرخ في 1193هـ.

[17] اشتهر باسم "الحاج أحمد بن التّنوري" في قصر أنزجمير وتوات إلى الآن، فإذا ما تزوج أحد من ذريته تجد النسوة يرددن عمود النسب مسلسلاً أو ما يعرف عند العوام بـ"تَدَرّاي" فيقلن: الله مع فلان بن فلان ... بن الشيخ الفلاني بن الحاج أحمد بن التّنوري، الساقية الحمراء، يختمن بذكرها؛ لأنه شاع مجيئه عبرها وإليها تُرفع تكملة سلسلة النسب.

[18] الحبس من توثيق الإمام العالم أبو القاسم بن محمد بن العلامة الولي الصالح عبد الجبار بن أحمد البرزوزي الودغيري بتاريخ شعبان 985هـ - 1577م. انظر أصل الحبس عند الأستاذ المهندس العربي هلالي الودغيري، وثيقة مخطوطة على الرق (محفظة 71 ملف 173).

[19] انظر أصل هذه الوثائق عند الأستاذ المهندس العربي هلالي الودغيري (محفظة 71 ملف 173): كلها تثبت حضور المرحوم الشيخ الحاج أحمد بن التّنوري ضمن وثائق شهود مختلفة: وثيقة مؤرخة سنة 1102هـ، أيضاً وثيقة بتاريخ 1106هـ، وأخرى بتاريخ 1108هـ.

[20] محمد، بوزيان بنعلي: من رموز الحركة الوطنية الحاج بوعلام التّنوري الفجيجي، مرجع سابق، ص 19.

[21] وهو سيدي أحمد بن محمد بن عبد الرحمان بن أبي بكر بن عثمان المسمى اختصاراً أحمد بن أبي بكر السكوني، من ذرية الولي الصالح، دفين بني ونيف، الشريف الشيخ سيدي عيسى بن الشيخ سيدي عبد الرحمان الودغيري الإدريسي، عاش في مستهل القرن الحادي عشر الهجري وإلى ما بعد العشرة الثامنة منه (ق 16م)، وهو من أتباع الطريقة الشيخية، اشتهر بكثرة تصانيفه الصوفية ومنها: كتاب نزول الرحموت أو خزانة الرحمة، مناقب الخلفاء، وشرح تنبيه الأنام لابن عظوم. ينظر أحمد، السكوني: تقوية إيمان المحبين مناقب الشيخ سيدي عبد القادر بن محمد بن سليمان بن أبي سماحة، تحقيق عبد الله طواهرية، دار الأديب للنشر والتوزيع، وهران، 1991، صفحات 15-16.

[22] ينظر أحمد، مزيان: فجيج مساهمة في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال ق19، مطبعة فجر السعادة، الدار البيضاء، 1988، ص 102؛ محمد، بوزيان بنعلي: فجيج في عهد السعديين السياسة والثقافة والمجتمع، مطبعة الجسور، وجدة، 2005، ص 233؛ محمد، بوزيان بنعلي: واحة فجيج تاريخ وأعلام، منشورات المجلس المحلي الإقليمي فجيج، مطبعة الجسور، وجدة، 2015، ص 159.

[23] مصطفى، لالي (09 ماي 2019)، زوايا فجيج وأنشطتها العلمية، تم الاطلاع عليه في 11 ديسمبر 2023، موقع مجلة رباط الكتب: https://ribatalkoutoub.com/?p=2992

[24] العربي، هلالي الودغيري: فجيج تاريخ وثائق ومعالم المسجد العتيق والصومعة الحجرية، المطابع المغربية والدولية، طنجة، 1988، ص 83.

[25] محمد، بوزيان بنعلي: من رموز الحركة الوطنية الحاج بوعلام التّنوري الفجيجي، مرجع سابق، ص 19.

[26] فهل سلك الشيخ سيدي الحاج أحمد التنوري طريق الساقية الحمراء فعلاً، ومنها توجه مباشرة إلى قصر أنزجمير بتوات رفقة قافلة أو نفر أم كان وحده، وما الذي دعاه أن يأخذ هذا المسار تاركاً الطريق المباشر الذي يربط فجيج وتوات مروراً ببني ونيف؟ ثم كيف اجتمع بالشيخة عائشة ولم تربطه علاقة سابقاً بالبرامكة؟ فلا يعقل أن يكون مجيء الشيخ سيدي الحاج أحمد التنوري محض صدفة، ولعله كان يتتبع أو تصله أخبار توات فعلم ما كان يجري بقصر أنزجمير من أحداث في الفترة التي عاشها السباعيون بالقصر إلى أن بات مهجوراً ساعتها فوجده مكاناً مناسباً يستقر به بشكل دائم، بقصد التخفي عن الأنظار ومحو الآثار والأخبار أو لأسباب أخرى نجهلها والأيام -إن شاء الله- كفيلة بأن تنفض عنها الغبار، فاتخذ بذلك طريق الساقية الحمراء سبيلاً، أو أخبر أنه جاء عبرها تضليلاً، لحاجة في نفسه قضاها (فحرص ألا يُعلم أصله ومن أين جاء فينكشف أمره وتفسد خططه). أيا كان الجواب الذي قد يأتي أولا يأتي، فإن زواجه من الشيخة عائشة ووجودها في حياته كان سنداً داعماً له، ويلاحظ ذلك من خلال تصدرها

المشهد بضراوة وجسارة إلى أن ذاع صيتها في توات، ولحكمة بالغة بالغة كان الشيخ الحاج أحمد التنوري يُدير الأمور من وراء الحجب وظاهر الأمر يوحي بأنها زوجه، وفي الأمر نكتة تدل على دور المرأة التواتية ومساهمتها في مناحي الحياة وسط المجتمع التواتي في تلك الأيام، ولعلو همتها وشأنها كانت لها حظوة ومكانة ومركز على الصعيد الاجتماعي والاقتصادي وكذا السياسي والدبلوماسي، والشيخة عائشة البرمكية زوج الشيخ سيدي الحاج أحمد التنوري التي خلد التاريخ ذكرها خير إثبات ومثال يستشهد به. ويفهم من ذلك أيضاً أن زواجه من قبيلة البرامكة كان مدروساً، فلقد كان لهم في تلك الفترة سلطة ونفوذ وكانوا قوماً أولي بأس شديد بتوات – وتواجدهم كان بقصر بوعلي – وإلا ما كان ليسهل عليه أن يستوطن قصر أنزجمير، ويفرض وجوده فيه، ويقيم على أنقاضه القصر الفوقاني ويطيب له فيه المقام، وببركة أنوار العلم والتصوف التي أكرمه الله بها أخمدت نار الفتن فأصبحت برداً وسلاماً وأحيا الله به الأرض بعد موتها، فبات القصر منارة علم وأمان إلى عصرنا الحالي.

[27] وأغلب الأشراف الأدارسة لا زالوا مخفيين – أي: لا يعرفهم الناس – لحكمة أرادها المولى سبحانه، وهم كثر بتوات، كأبناء الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي بقصر زاوية الشيخ، والبكراويين بقصر تمنطيط وبعض فروع السباعيين، وببلاد متليلي سيد الزيغم، وأولاد سيدي موسى بن مسعود وغيرهم بتيميمون وبلاد كرزاز، وذكرنا هؤلاء على سبيل المثال فقط، وإلا فالعدد أكثر من أن يحصر، وكلهم في الحقيقة من آل البيت، أشراف من ذرية سيدنا إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل، غير أنه جرى على لسان الناس مناداتهم بلقب "المرابط." ذكر ذلك الشيخ سيدي محمد باي بلعالم في كتابه الرحلة العلية إلى منطقة توات فقال: "والكثير من الأدارسة المنتشرون عبر المناطق الثلاث [بتوات] نزع اسم مولاي لأسباب تاريخية وبقوا تحت الاسم المستعار" ص 550.

[28] وبجوار الشيخ سيدي الحاج أحمد التنوري دفن بنوه الشيوخ الثلاثة: الشيخ بلة والشيخ عبد الوافي والشيخ محمد، وسيدي عبد الرحمن الزجلاوي جد الأنصار وابنه سيدي محمد الغوث. هذا وتوجد مقامات وقبور للأولين من قبائل أخرى سبقته إلى أرض توات أمثال: سيدي عبد الله السباعي وابنه سيدي علي، مولاي حمادي بن الشريف، سيدي عبد المؤمن الكنتي، سيدي الحاج بافكر، مولاي علي الشريف، وسيدي محمد الشريف، ومولاي أحمد، وهو أول شريف من آل بيت النبوة دخل لتوات كما هو الحال بالنسبة لمولاي سليمان بن علي دفين مقبرة أولا أوشن بأدرار، رحم الله أرواح جميعهم الطاهرة برحمته الواسعة.

[29] ورزق المرحوم الشيخ سيدي الحاج أحمد التنوري بنات تزوجن من رجال أفاضل ذوي قدر عليّ وأصل شريف أهل علم وولاية وصلاح في ذلك الزمان، نذكر منهن: زوجة مولاي حمادي بن الشريف بقصر تيدماين وذريتهما الشريفة منتشرة اليوم بكثرة في ذات القصر، وزوجة مولاي عكرمي من ذرية مولاي عبد الكريم (ت.1095هـ) بن محمد المعروف بالسي حمو بلحاج الذي صاهر العائلة الرقادية الكنتية كما تقدم معنا وشيكاً، وهي جدة الشرفاء العكارمة بقصر المحفوظ الذي انتقلت إليه وزوجها بأمر من والدتها الشيخة عائشة، وبه أسست قصبة العكارمة خلال العقد الخامس من القرن الثاني عشر الهجري، وهي ثاني قصبة بعد قصبة أولاد جبارة بقصر المحفوظ. ومن

بناته زوجة سيدي سالم بن الشيخ الولي الصالح سيدي يوسف قنون. عاشت بقصر تيدماين وهي جدة كل من عائلة يوسفي في قصر تقراف بأولف وعائلة قرافي بقصر الخلفي من ذرية محمد بن سالم المكنى بقرافي بن الشيخ سيدي يوسف، وعائلة قنون المتواجدة في قصر تيدماين من ذرية عبد الكريم بن سالم بن الشيخ سيدي يوسف. وأخرى، ولعلها أصغر بناته، تزوجها الشيخ سيدي عبد الرحمن الزجلاوي وهي جدة الأنصار بقصر أنزجمير، ومن تفرع من ذرياتهم بقصر تيدماين وقصر زاوية الشيخ وتوات عموماً، الخ. فبنات الشيخ سيدي الحاج أحمد التنوري كن شيخات أيضاً وعُرفن بالصلاح، فكن خير زوجات لخير أزواج وخير أمهات لذرية طيبة كريمة.

[30] ونزل بين ظهرانيهم أبناء ''باالشيخ'' بقصبة القائد، وهم عرب أفاضل كرماء، وعائلة كبيرة مشهورة اليوم بقصر أنزجمير بتوات، ينتسبون إلى جدهم الجامع ''الشيخ'' بن بَادّيب بن محمد بن سليمان بن عبد الله المغافري نسبة إلى الصحابي الجليل سيدنا أبي ذر الغفاري نسبة إلى قبيلة غفار – غفر الله لها – وغِفار من كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. قيّد عمود النسب هذا المرحوم سيدي الطالب الحاج أحمد الشيخ بن عبد الرحمن الأنصاري، وثيقة بخط يده، غير مؤرخة، انظر أصلها عند السيد باالشيخ عبد الوافي بن الحاج عبد الكريم.

[31] ولا ينتسب إلى قبيلة بني مهدي بن حسان بن الشيخ عبد الوافي بن الشيخ سيدي الحاج أحمد التنوري سواهم، ممن ينتمون لعائلتي محمد وأخيه جلول بعد أن خرجا من القصر الفوقاني بأنزجمير، وتفرعت منهما الذرية بقصر المحفوظ؛ لأنه يوجد من يحملون اللقب المدني ذاته ''عبد الوافي'' بقصور توات بيد أنهم ليسوا من ذرية الشيخ عبد الوافي، ولا ينتسبون إلى الشيخ سيدي الحاج أحمد التنوري، ولا تربطهم به صلة رحم عدا الذين حصرنا.

[32] الشيخ سيدي أمحمد الونقالي (ت. 1175هـ): ''هو سيدي امحمد بن عبد الله بن امحمد بن الصالح بن الطيب بن موسى الأدغاغي أصلاً الساكن بقصر أولاد ونقال ضواحي مقر الولاية أدرار حاليّاً. ولد حوالي سنة (1140هـ) وقيل: سنة (1142هـ) عاش حوالي ثلاثة وثلاثين سنة، وقيل: خمسة وثلاثين سنة. وخلف ابنين هما سيدي محمد عبد الرحمان وهو مقبور بأدغا، والثاني سيدي محمد المقبور ببلاد دلدول. أخذ عنه الشيخ سيدي الحاج محمد بن عبد الرحمان البلبالي، وسيدي عمر بن عبد الرحمان المهداوي، وسيدي عبد الرحمان بن محمد العالم الزجلاوي، وسيدي الحاج محمد بن عبد الكريم بن حسان البداوي. توفي عن عمر ناهز الخامسة والثلاثين سنة تقريباً في فجر يوم الجمعة الحادي والعشرين (21) من رمضان سنة (1175هـ).'' أحمد، جعفري: الحركة الأدبية في أقاليم توات من القرن السابع حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجريين، منشورات الحضارة، الجزائر، ط1، ج1، 2009، ص37.

[33] الذي اختاره الشيخ محمد بن الشيخ سيدي الحاج أحمد التنوري لتولى شؤون التدريس بالقصر، رغم تمكن كل منهما بعد أن نهلا العلم من عند شيخهما وتبحرا في العلم، فأمرت أم الشيخ محمد بن الشيخ سيدي الحاج أحمد التنوري، الشيخة عائشة، بإحضار الشيخ سيدي عبد الرحمن الزجلاوي سنة 1169هـ، فنزل بالقصر الفوقاني وتزوج من إحدى بنات الشيخ سيدي الحاج أحمد التنوري، الذي لا شك أن يكون قد مات يومها. تصدر التدريس آنذاك

فاستنار القصر ووفد عليه الناس من داخله وخارجه، وأقبلوا على حِلق التدريس. خلف ذرية مباركة من بعده حملوا مشعل العلم، وهو الجد الجامع لكل الأنصار، نسبة إلى الصحابي الجليل سيدنا أبي أيوب الأنصاري، بقصر أنزجمير وقصور أخرى بتوات. ولقد وصف لنا مشهد مجيء الشيخ سيدي عبد الرحمن الزجلاوي لقصر أنزجمير عبد القادر، قصباوي: دراسة وصفية لخزانة الشيخ: سيدي عبد الرحمن بن أحمد الزجلاوي – قراءة في مؤلفه شبكة القناص، العدد 03، مجلة رفوف، أدرار، 2013 صفحات 33-67. سرد روايات، نقلاً على ألسنة أصحابها، صحيحة ومتواترة لا غبار عليها، لكن لا بد من الوقوف عند بعض جزئياتها والتعليق، فمثلا عند قوله: ''وبعد وفاة معلم الناس ومرشدهم بالقصر كان لا بد للبلد من رجل يعود بسفينته لجادة الطريق فتوجب على أعيان القصر أن يجدوا مخرجاً لذلك'' ص 36، ولم تكن بلدة أنزجمير وقتها عامرة بالناس، بل اقتصرت على عائلة الشيخ سيدي الحاج أحمد التنوري داخل أسوار القصر الفوقاني بأنزجمير، النواة الأولى ببلد أنزجمير التي أسسها بعد مجيئه لتوات وزواجه من الشيخة عائشة. فإن كان المقصود ''بمعلم الناس'' هو الشيخ سيدي الحاج أحمد التنوري فصحيح؛ لأنه اشتهر بالعلم والتصوف، وليس غريباً على مثله أن يبعث بابنه الشيخ سيدي محمد، بعد أن أخذ مبادئ العلم وتمكن على يديه بالقصر الفوقاني، إلى مجلس الشيخ سيدي امحمد الونقالي ليستزيد ويأخذ من أدبه قبل علمه، وفي الأمر دليل واضح على حرص الشيخ سيدي الحاج أحمد التنوري وزوجه الشيخة عائشة واهتمامهما بالعلم، فبعد استقرار الأوضاع بالقصر وعودة المياه إلى مجاريها بالمنطقة بعد أن كانت خراباً ودب إليها الفساد في عقائدها ومعاملاتها، بعد أن كثر الجهل وقل العلم في ذلك الزمان، علماً أنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما صلح به أولها، أي: الرعيل الأول للأمة، ولا سبيل لتحقيق ذلك إلا بالعلم وبالرجوع إلى كتاب الله وسنة نبيه، ولعله الدافع من وراء أخذ الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي الحاج أحمد التنوري للعلم؛ لأجل أن ينشر العلم ويستنير القصر الفوقاني بأنزجمير، غير أنه اعتذر؛ ''ولَمّا لاحظ تبحر زميله [الشيخ سيدي] عبد الرحمن [الزجلاوي] وتمكنه من العلم ومراعاة للظروف التي كان يمر بها القصر دلّهم عليه.'' ص 37. واعتذاره لا يعزى إلى عدم تمكنه واستعداده لحمل المشعل، بل لأنه لم يكن يسكن بقصر أنزجمير الفوقاني إلا أهله وذووه حينئذ، فخشي أن يجد صعوبة في تبليغ العلم وأداء مهمته وأن لا يطاع الله فيما أمر أو لا ينتهي الناس عما عنه زجر، فالحمد لله إذ ألهمه الله الفطنة فنظر في الأمر واستشرف ثم اعتذر (مقابلة شخصية مع الشيخ سيدي المكي محمد بمقر سكناه بوم الاثنين 30 أكتوبر 2023 في حدود الساعة 12:00، سمع هذه الرواية من عند الطالب سيدي الحاج أحمد بن عبد الرحمن الأنصاري رحمه الله).

[34] واللقب العائلي نفسه، ''الشيخ،'' تشتهر به بعض عائلات الأنصار المرابطين، بقصر أنزجمير أمثال الشيخ المربي سيدي الحاج الحسان الأنصاري الذي درس رفقة الشيخ سيدي الحاج أحمد المغيلي الأنصاري والشيخ سيدي الحاج محمد المكي (من أحفاد الشيخ سيدي الحاج أحمد التنوري) حفظهم الله عند الشيخ المربي سيدي الحاج محمد بلكبير، فكانوا من المقربين لديه ومن خاصته لنبوغهم وجِدهم واجتهادهم في طلب العلم وخدمتهم للشيخ، فأكرمهم الله بحمل مشعل العلم. أخذوا الكتاب بقوة ففازوا بفخار النبوة في حياته ومن بعد وفاته رحمه

الله. أسس الشيخ سيدي الحاج الحسان الأنصاري مدرسة قرآنية بالقصر الفوقاني بأنزجمير، وأسس الشيخ سيدي الحاج أحمد المغيلي الأنصاري مدرسة قرآنية بالقصر التحتاني بأنزجمير، والمدرستان عامرتان مشهورتان تبارك المنان. أما الشيخ سيدي الحاج محمد المكي فغدا فارساً للمنابر بمسجد الشيخ المربي سيدي الحاج محمد بلكبير ومساجد أخرى بولاية أدرار إلى أن تقاعد، ولم تفتر همته عن النشاط والدعوة إلى الله ورسوله من خلال دروسه وحلقات العلم في سبيل الله، وبتيسير من الله وضع الحجر الأساس لمدرسته بقصر تيليلان بولاية أدرار وبنى مسجدها، نسأل الله أن يعينه على ذلك. ولا فرق بين الشيخ سيدي الحاج الحسان الأنصاري، والشيخ سيدي الحاج أحمد المغيلي الأنصاري، والشيخ سيدي الحاج محمد المكي، بل كل واحد منهم جبل راسخ أشم في العلم بالكتاب والسنة وعلم التزكية والتصوف وعلوم الآلة والفقه، وكل أسد في غابته. جعلوا حياتهم وقفاً للعلم واقتفوا خطى المرحوم الشيخ المربي سيدي الحاج محمد بلكبير، واتبعوا نهجه وسبيله، ولم يشغلهم عن أداء الأمانة والتبليغ وتعليم الناس أمور دينهم شاغل، ابتغاء مرضاة الله ونصرة دينه المحمدي. أحبوا الله ورسوله، فجُعل لهم القَبُول وذاع صيتهم بين الناس وأقبل عليهم وعلى مجالسهم طلبة العلم والزوار والمحبون من كل حدب وصوب، كيف لا وهم من العلماء الجهابذة التي تذخر بهم توات ولا فخر، فلله الحمد والمنة.